

## ذكر جان جاك روسو

(١) جمال الطبيعة

كل من اسعدهُ الحظ والقت بهِ الاسفار على ضفاف بحيرة ليمان وقف وقفة المتأمل الحائر بين جمال تلك الآية الطبيعية التي منحها السماء الوان الزرجد والزمرد والفيروز وصفاء البلور وعذوبة الكوثر وهياج البحر وبين الجبال الشاخنة المحيطة بشواطئها كأنها حراس ذات درجات ومناصب شتى زعيها ورئيسها الجبل الابيض المقيم بالجليد طول العام ويتلوهُ جبل ساليق الضخم مدرعاً بصخوره التي لا ترام ومسلحاً بأشجار السرو العالية. ويتلوهُ جبال وهضاب شتى كلها منزرعة حتى يخيل للناظر الى الوان نباتها انها ثوب فاخر مزركش

(٢) مدينة - - -

يقف الانسان بهوتاً مبهوراً حيال صنع الطبيعة التي كأنها لدى الفراغ من وضع كتاب الارض ارادت ان تجعل له فاتحة جميلة فنقشت تلك البقعة وصيرتها فاتحة. وحيال همه الانسان السماء التي اضافت الى حسن الخلق الفطري حسن الاختراع البشري ولشد ما تكون دهشة السائح المتأمل لو ان سعد طالعه هداه الى مدينة يهتز القلم لدى تدوين اسمها العطر المحبب هي مدينة « جنيف » التي اطلق عليها العرب اسم « جنيرة ». ان مجرد مشاهدة موقع ذلك البلد العزيز في خريطة الجغرافيا او مطالعة اسمه عرضاً في صحف الاخبار او سماعه على شفاه محدث يجعل القلب الرقيق يخفق كأنه اسم حبيب غائب وينبئ النفس من خودها كأنه لمحة من لمحات الوحي الالهي. ذلك كله لان « جنيف » عالم في ذاته وتاريخها يشبه تاريخ دولة كبرى بحوادثه ووقائمه وقظائمه وحلاله ولان تلك الجمهورية الصغيرة تمثل منذ خمسين عاماً دوراً دولياً مهماً وكل سبيل من سبلها يحفظ اسم كبير من اكابر العالم الذين التجأوا اليها وعاشوا بين جوانحها امثال باكونين وكارل ماركس وهرتز وماترنبي وكوروو بوتكين وبيرون وروشفور ومحمد عبده وغيرهم من اساطين العلم والفلسفة والسياسة

دع عنك ما ذكرت من المناقب فقد فاقت « جنيف » المدن ببجيرتها وجامعتها ومتاحفها وبساتينها بل ان اسماء طرقها تلد للسامع. اذكر بولفارد فيلسوف

وشارع الجبل الابيض وشيان دولا روزري . وهذا الاخير جدير بشيراز وطن السعدي شاعر الفرس صاحب حديقة الورد . معظم السائحين يعرفون بستان مونريو وبستان اريانا وبستان الامواه النابعة Eaux Vives ولكن قليلاً منهم يعرف ساحة بلانبلية لانها في طرف المدينة من جهة نهر الآرف تلك الساحة التي طالما اخترقناها في ذهابنا وجيئتنا الى دار الكتب وحي الطلاب المزدان بافينو دي ماي وشارع برجالون وشارع شيوخ الجر ناديه وبواقار كارل فوحت (٣) العيشه في ربوعها

لقد قضينا في تلك الاحياء وتلك الرحاب ليالي سعيدة احييناها بالدرس والمحادثه وعشنا في احشاء « جنيف » كما يعيش الجنين في بطن امه عيشة الزهد والتعفف واكتفينا بموائد الحكمة وما اكثر صنوف طعامها وتغذينا بلبان الخبرة والاعتبار ورضنا النفس على العزلة حتى اصبح انسا في الوحدة . وكنا قبل ذلك نعاشر طبقات الامم المختلفة التي ترد فناء الجامعة فرأينا الياباني والروسي والبولوني والاغريقي والتتري والاناضولي والمكسيكي وقد ترك كل مجتمع من مجتمعاتهم اثرأ ثابتاً في النفس فلا غرابة اذا عددنا « جنيف » امأ روحانية مرحنا فيها تارة في كنف السعادة وطوراً في ظلال الشقاء

(٤) تمثال جليل

ولقد وقفنا مراراً وقفة المعتبر المتطلع تحت تمثال رفيع اقيم في وسط جزيرة حسناء تظللها الاشجار وتدرأ عنه مضطرب الرياح وتحت اقدامه امواج البحيرة تلطم الصخور لطماً لطيفاً كأنها توقع انعاماً شحية تصعد ممتزجة بتغريد البلابل الى آذان صاحب التمثال الجالس على كرسي من البرنز على وجهه بسمة ازدراء تخالطه الغبطة وفي يده قلم وهو يهيم بالتدوين في دفتر على ركبته وتحت اقدامه كتب مبعثرة وقراطيس منثورة فاذا دنا الناظر من قاعدة التمثال رأى اسماً تخر لذكره شوامخ العقل البشري ساجدة فيلقظه بصوت خافت ثم يرد بصره الى الوجه المقدم الوسيم الذي لم تشجعه لحية ولاشارب : هذا « جان جاك روسو » ابن مدينة جنيف حبيبها وخدامها وطريدها

(٥) عيد روسو

قبل الحرب بعام واحد كانت عواصم اوربا قائمة قاعدة وبلادها هائجة مانح

وقراها في هرج ومرج للاحتفال بمرور مائتي عام على ميلاد جان جاك روسو  
بجنييف . وكانت المطابع اذ ذاك مشغولة بنشره مؤلفاته من جديد وباصدار الكتب  
الحديثة في تاريخ حياته ومذاهبه كما ان المجلات العلمية والصحف اليومية خصته  
بمعظم صحائفها وقد بلغ الهياج اشده في باريس لان الحكومة هي التي شاءت  
تجديده بنصب قبر جديد على عظامه الراقدة في مدفن العظماء ( يانتيون ) واقامت  
له احتفالا فخماً في فناء السوربون القيت فيه خطاب التمجيد والاجلال وكان من  
خطباء ذلك اليوم المشهود جان ريشبان واميل بوفيه وموريس باريس عضو  
الاكاديمية الفرنسية وعضو مجلس النواب

(٦) اعداؤه

وسرى القارىء ان هذا الاخير كان يناقض ذاته . يقول عن روسو قولاً طيباً  
ثم يقيم نفسه نصيراً لاعدائه زاعماً انه يريد انقاذ الوطن من تهمة الانتساب الى  
هذا الفيلسوف ، وقد فشل في سعيه وتعدت الحكومة الفرنسية والامة الفرنسية  
رغبتهما . وقام يصرخ متمسكاً باعطاف هذا الرجعي شيخ مشهور بشدة الذكاء  
وسعة الاطلاع وحدة اللسان قال عنه خصومه انه خزينة لقولوص الكلم وقد  
غير مبادئه مراراً . بدأ حياته استاذاً للآداب في كلية جرنويل حر الفكر جمهورياً  
صادقاً واشتهر ببحث جليل جداً في نقد مؤلفات رينان . وختمها بما يزعم انه  
تقليل من مجد السالفين فيلتي عن كل عظيم محاضرات غايتها زعزعة ثقة الجمهور  
في ذاك العظيم وهذا الشيخ هو جول ليمر . سمعته في ليون يمزق نياط خنجرته  
في انتهاك حرمة روسو ويقابل من الجمهور بالصفيير وتبعت اخباره بمونبلييه  
فعلت انه ارتد بعد الحدة خائباً

(٧) تدر روسو وفولتير

فلما شهدت هذا المعمان تجدد في قلبي حب جان جاك وكنت من قبل قرأت  
اعترافه المبكي وطالما مزجت دموعي بدموعه على صحف الكتاب وصححت نيتي  
اذ ذاك على ان اعرجه الى الشرق بعد درس كتبه وتمحيص مذاهبه لاني رجعت  
الى ذاكرتي فلم اجد اني طالمت عنه الا شيئاً معدودة في بعض المجلات والصحف  
ولم يتصد احد الى فحص ترجمته وتآليفه ويحق لنا ان ندهش من تخلي الكتاب  
قاطبة عن جان جاك على ما له من القدر في بلاد الغرب فضلاً عن كونه من اكبر

مكوني العالم الاوربي الجديد ونصيبه في العلم والفلسفة والادب والسياسة لا يضارعه الا لصيب قولتير وانه بلا ريب تفوق على شيخ فيرنيه بجرية افكاره وسلامة قلبه واعراضه عن الدنيا وتعلقه باهداب الفضيلة والصدق . ومهما يكن قدر لصيب كل منهما في تكوين الفكر الاوربي الحديث فان معاصريهما نسبوا اليهما كل ما حدث من الانقلاب ونظم بعضهم اغنية صغيرة يتهم بها على من تصدى لاتهمها وترحمها

لقد سقطت على الارض فاللوم على قولتير وانني في الغدير فاللوم على روسو وهذه الاغنية على تقاهتها تدل على روح العصر الذي ترنم بها على ان وراء هذه الاغنية المضحكة ما يبكي فان الذي انشدها وجمع بين هذين الرجلين العظيمين في مأزق واحد وجعلهما مسؤولين عن كل ما يحدث لم يكن يعلم ان حقد قولتير واثرتة وكبرياءه وتعاظمه سيجعلان منه لجان جاك الوديع المتواضع الفقير بماله الغني بنفسه عدواً للدوداً لا يؤمن جانبه ولا تخمد نار حرده . بل ان قولتير بقي يضاغن روسو ويناوته ويحقره ويفري به العامة الى ان مات فوجد عليه روسو وتمني لنفسه الموت !!

تقول انه ادهشنا تهاون الشرق بامر روسو مع ماله من الاهمية في الغرب ولم تكن شهرته مقصورة على فرنسا وسويسرا وهاوطنة ومجال ابجائه بل سارت تلك الشهرة مسير الشمس من اقصى اوربا الى اقصاها حتى انه ذهب المثل في بلاد نورويج اذا رأت امرأة صاحبة من صواحبها مغتمة ان تقول لها ماذا يدعو الى حزنك لملك سمعت قدحاً في روسو . وسيظهر في سياق المقال ما ينسب اليه من الآثار الخالدة في حياة الامم المعاصرة معزراً بالبراهين وساذكر قبل ذلك بعض الكتب التي كتبت عنه وعن مؤلفاته ومذاهبه مرتبة حسب تاريخ صدورها من سنة ١٧٨٨ الى ١٩٠٧

(٨) مؤلفات عنه

رسائل في خلق روسو ومؤلفاته

ترجمة روسو ومؤلفاته

مقالة على جان جاك روسو

حاذ. حاك . . .

مدام دي ستايل

موسيه باي

برناردان سان بير

مه . . .

سان مارك دي جيراردان	حياة روسو ومؤلفاته
لامارتين	جان جاك روسو
سانت ييس	مقالاته الانتقادية
اميل فاجيه	مقارنة بين سياسة مونتسكيو وفولتير وروسو
حيول	بحث في جان جاك روسو
دينوارستير	قولتير وروسو
برتراند	المتن الاصيل للعقد الاجتماعي
بودوان	حياة ومؤلفات جان جاك روسو
ريتر	جان جاك روسو
ماكدونالد	درس على روسو

## روسو واصول الكوز موبولوتيزم

ادوار رود - روسو

يرى من هذا البيان ان فريقاً من اعظم الكتاب في كل الامم تفرغوا لدراسة حياة هذا العبقري وخص مؤلفاته ووقفوا جزءاً من اعمارهم على ذلك البحث المفيد الطلي . وقد سلك كل منهم سبيلاً في الدرس والتقد ومعظمهم تتبع حياة روسو في تأليفه فلاذ بكتاب الاعتراف وخص كل فترة من الزمن بما وضعه فيها الفيلسوف من الكتب والمبادئ وكأنهم يقلدون بعضهم بعضاً وقد يكون اوفى هذه الكتب ما وضعه اثنان من الانجليز لانبحسهما حقهما الاول مورلي والثاني ماكدونالد . اما مورلي فكان صحفياً ومدير جريدة البال مال غازيت قبل التربع في دست وزارة الهند والصعود الى مجلس اللوردات وكان صديقاً حميماً لغلادستون ومنعكفاً على الدرس الفلسفي وذلك منذ ثلاثين عاماً تقريباً فوضع كتابه عن روسو واتبعه بكتاب عن فولتير ثم وضع كتاباً عن غلادستون وهو استاذ لا يجاريه الا اقليلون من مواظنيه في فن تحرير تراجم العظماء ويحق ان يكون رئيساً لديوان وفيات الاميان وقد اتبع طريقة علمية في بحثه عن روسو وتوسع في التفسير ورد الفروع الى اصولها ثم يتلوها ماكدونالد وكتابه افضل من كتاب مورلي ويرجع فضله الى ما استفادته من المؤلفات التي صدرت لعهدنا هذا

محمد لطفي جمعه

ستأتي البقية